جهود علماء الجزائر في الدفاع عن اللغة العربية ونشرها وتطويرها

(نماذج لبعض الأعلام عبر تاريخ الجزائر)

د. جمال مرازقة

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جهود علماء الجزائر في الدفاع والذود عن إحدى أهم مقومات الأمة الجزائرية التي تعتبر عنوان أصيل لانتمائها الحضاري العربي والإسلامي، والذي قدمت من أجل الحفاظ على هويته النفس والنفيس لكي تواصل وجودها وتثبت مكانتها ضمن الفضاء الواسع الذي تنتمي إليه، هذا المقوم الأساس هو اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة السنة النبوية الشريفة ولغة العرب الأولى والمسلمين في جميع أنحاء العالم أينما وجودوا وأينما ارتحلوا، والمتتبع لتاريخ الجزائر بعد الفتح العربي الإسلامي من خلال الشواهد والآثار التي تركها الأسلاف، يجد أن اللغة العربية عرفت تطوراً كبيراً وانتشارا واسعاً بفضل أعلام الجزائر والجهود الكبير التي قدموها من أجل الحفاظ على هذا الموروث الحضاري الهام، الذي تفتخر به الجزائر ومن أمثال هؤلاء نجد كل من: الحسن ابن رشيق المسيلي نزيل القيروان، و عبد المعطى الزواوي،والشيخ عبد الحميد ابن باديس، والعلامة محمد البشير الإبراهيمي، وبعد الاستقلال نجد كل من العالم العربي والموسوعة عبد الرحمن حاج صالح، والأديب عبد المالك مرتاض اللذين كان لإسهاماتهما اللغوية والفكرية السبق في تطوير اللغة العربية وتوسيع قاعدة استعمالها والعمل على نشر الثقافة العربية في الجزائروالعالم العربي، وقد تم اختيار هذه النماذج نظراً لدورها الكبير في نشر اللغة العربية وحمايتها وتطويرها قي الجزائر عبر محطات زمنية مختلفة من تاريخ الجزائر العام، وإلا فإن القائمة طويلة لا يتسع المقام لذكرها جميعا بالتفصيل، لذى تعتبر هذه الدراسة محاولة للتعريف بآثار هؤلاء الأعلام وتقديم بعض أعماهم النفيسة، ومن ناحية آخري إسهام منا في مجال تنوير الفكر العربي الإسلامي للدور الكبير الذي قام به هؤلاء الأعلام من أجل الحفاظ على اللغة العربية في الجزائر وتوسيع قاعدة انتشارهافي عديد المجالات، وإسهاماتها الفكرية في جميع الأقطار العربية والإسلامية، فمن خلال هذه النماذج العلمية والأدبية استطاع الشعب الجزائري بثبات وإخلاص الدفاع عند لغته وعقيدته الإسلامية والحفاظ طيلة ١٣٢سنة على تواجده وذلك بكل فخر واعتزاز، وبعد الاستقلال كان ولا تزال الاستفادة كبيرة من جهود الأعلام من أجل الحفاظ على اللغة العربية و ترقية استعمالاتها في جميع الميادين والاختصاصات الأكاديمية والبحثية.

الكلمات الدالة:

علماء الجزائر- اللغة العربية- الأمة الجزائرية- ا الموروث الحضاري- الهوية- تطوير اللغة العربية- نشر الثقافة العربية.

إن اللغة العربية ليست لغة عادية، يختارها الإنسان العربي المسلم أو يرفضها كما يحب ويرضى، بل هي لغة مقدسة إجبارية، فضلها الله على جميع اللغات الأخرى، ورسمها في الكون، فأنطق بها أتباع إبراهيم عليه السلام وحملة دعوته مدة زمنية طويلة وبعث محمداً – صلى الله عليه وسلم- من الناطقين بها، وأنزل بها القرآن الكريم فجعله المعجزة العربية البيانية الخالدة، ووصفه وصفاً صريحاً في عشر سور بأنه قرآن عربي. والسور العشر هي: (يوسف- الرعد- النحل- طه- الشعراء- الزمر- فصلت- الشورى- الزخرف- الأحقاف)؛ ومن

الآيات التي وصفه بها قوله تعالى: ((إنا أنزلناه قرآناً عربياً)) – يوسف/٢؛ وقوله تعالى: ((نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)) الشعراء/١٩٥. وقد بلغة الرسول الكريم باللسان العربي... فمعرفة اللغة العربية واجبة على المسلمين والمسلمات، إذن وجوب معرفة العقائد والعبادات وهي لغة واحدة وحدها الله عزوجل حتى تكون عاملاً هاماً في توحيدهم وجمع كلمتهم على الدين الواحد والهدف الواحد، والغايات الكبرى الواحدة، وأعطاها السيادة الكاملة على الوطن الإسلامي والأمة أو الأمم الإسلامية، وجعل حمايتها من التحريف والتشويه فريضة مشتركة على جميع العرب والمسلمين. (محمد فارح، ٢٠٠٤،ص: ١٠٢-١٠٣).

والعربية بمقوماتها وآفاقها، التي لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة على الأرض، بكل أنشطتها وعطائها، اختيرت لتكون محلاً للمعجزة الخالدة، حيث بلغت بها المعجزة مدى لايمكن أن نطاوله، وإن كانت مقاربة الإعجاز ومحاولة استيعابه وبيان وجوهه واستشعار التحدي ارتقت باللغة إلى مستويات لم تبلغها لغة أخرى، وما هذا إلا لقدرتها، إضافة إلى أن المعجزة لم تقتصر على عصر وبلد وجيل وإنما هي خالدة مجردة عن حدود الزمان والمكان، فهي معجزة مستمرة تتحدى الارتقاء إلى مستواها في كل زمان ومكان وإنسان، وهذا يعني من بعض الوجوه، قدرة اللغة على استيعاب حركة الحياة والعلوم والمعارف وتطويرها وإنجازات الحضارة وارتقائها حتى نهاية الحياة على الأرض.(عمر عبيد حسنه،٢٠٠٨،ص: ١٠).

إن لكل لغة حقائقها الخاصة بها، وفيها ألوان مختلفة من الصعوبات النسبية، ولامفر أبداً من توطين النفس على قبولها والتوافق معها، لهذا السبب البسيط الذي أشرنا إليه: أنها لغتنا، حقيقتنا، ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا جميعاً. فمن نحن غير العربية التي صاغتنا من مادتها، وخرجنا برسالتها البيانية إلى العالم؟ وهل الأمم إلا لغاتها ؟ إن هزيمتنا فيها تعني الانمحاق على كل الصعد. وانتصارنا فيها لا بد أن يعني كسب الانتصار في معركة الوجود.(عبد الكريم الأشتر،٢٠٠٦،ص:٢١-٢٢).

أولاً: الحسن ابن رشيق المسيلي القيرواني: (٣٩٠-٤٦٣ه الموافق ١٠٧٠-١٠٠٠م).

هو ابو علي الحسن بن رشيق بن علي ولد بالمحمدية (المسيلة) وبها نشأ وتأدب قليلاً وكان والده صائغاً بها فعلمه صنعته لكنه مال إلى دراسة الأدب وقول الشعر ثم تاقت نفسه إلى التزيد منها وإلى ملاقاة الأدباء فرحل إلى القيروان عام ٤٠٦ه (١٠١٦م) واشتهر بها حتى صار يدعى بالقيرواني واتصل بالأمير المعز بن باديس.

ومدحه بقصيدة مطلعها:

ذمت لعينك أعين الغزلان

قمر أقر لحسنه القمران

وبقي بالقيروان إلى أن هجم بنوهلال عليها وخربوها وقتلوا أهلها فانتقل حينئذ إلى المهدية بعد أن انتقل إليها المعز وبقي بها بضعة أعوام ثم غادرها عام ٤٥٤ه (١٠٦٢) إلى مازر(صقيلية) ولم يزل بها إلى أن توفي.

يعتبر ابن رشيق نت أكبر أدباء عصره وأشهر بلغاء مصره فهو شاعر وكاتب وناقد بل يعتبر أول واضع لفن النقد الأدبي بكتابه « العمدة في صناعة الشعر ونقده « و» قراضة الذهب في نقد أشعار العرب « الذين يدلان على سعة اطلاعه على كلام العرب وعلى تبحره في الأدب ونقد الشعر وتبيين عيوبه وكلاهما مطبوع متداول بين أيدي الناس وقد خلف لنا ابن رشيق آثارا أخرى ذات أهمية كبرى لكنها ضاعت ولم تبق إلا قطع منها مبعثرة في كتب الأدب منها:» أنموذج الزمان في شعراء القيروان « الذي ذكر فيه جميع الشعراء المعاصرين له وهم أكثر من مائة شاعر كما خلف عدة رسائل كانت نتيجة المناقضات والمهاجمات التي كانت بينه وبين منافسه ابن شرف. (محمد بن رمضان شاوش ، الغوثي بن حمدان،ج١،٢٠٠٥،ص:٧١).

يقول ابن رشيق في كتابه (العمدة) مبرزا فضل الشعر على النثر: « كلام العرب نوعان: منظوم ومنثور، لكا منهما ثلاثة طبقات: جيدة ومتوسطة ورديئة، فإذا اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لاحداهما فضل على الأخرى كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة. ألا ترى أن الدر- هو أخو اللفظ ونسيبه وإليه يقاس وبه يشبه-

إن كان منثورا لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب ومن أجله انتخب وإن كان أعلى قدراً وأغلى ثمناً فإذا نظم كان أصون له من الابتذال وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال. وكذلك اللفظ إذا كان منثوراً تبدد في الأسماع وتدحرج عن الطباع ولم تستقر منه إلا المفرطة في اللفظ وإن كانت أجمله والواحدة من الألف وعسى أن لاتكون أفضله فإن كانت هي اليتيمة المعروفة والفريدة الموصوفة فكم سقط الشعر من أمثالها ونظرائها لا يعبأ به ولا ينظر إليه فإذا أخذه مسلك الوزن وعقد القافية (أي نظمها) وتألفت اشتاته وازدوجت فرائده وبناته واتخذ اللابس جمالا والمدخر مآلا فصار قرطة الآذان وقلائد الأعناق وأماني النفوس وأكاليل الرؤوس يقلب بالألسن وينبأ في القلوب مصوناً باللب ممنوعاً من السرقة والغصب. وقد اجتمع الناس على أن المنثور في كلامهم أكثر و أقل جيداً محفوظاً وأن الشعر أقل وأكثر جيدا محفوظاً لأن في أدناه زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنثور».((محمد بن رمضان شاوش ، الغوثي بن حمدان،ج١،٢٠٠٥،ص:٧٢).

قال عنه ابن خلدون عن كتاب (العمدة) لإبن رشيق مايلي: « وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله «.(ابن خلدون، ٢٠٠٧، ص:٦٤٣).

يقول محمد مرتاض(محمد مرتاض،٢٠١٤،ص:٣١) مانصه: إن الجزائريون، قد سعوا على أيامه إلى تأسيس نظريات نقدية بلاغية انطلاقاً من ثقافتهم المتعمقة، وارتكازاً على تبحرهم في فهم القرآن الكريم الذي كان لهم هادياً ونبراساً، فتأثروا بآيه، وكرعوا من بيانه، وانغمسوا في جماله، فكانو بعدئذ قراءً ممتازين للآثار التي وصلت إلى أيديهم، وذواقين للخطاب الشعري، وهذا ما حدا بهم إلى محاولت التأسيس لنظريات انصرفت في معظمها إلى الشعر.

ويواصل كلامه عن ابن رشيق إذ يقول على أنه من الإنصاف التوكيد بأن ابن رشيق كان درة في جيد النقد المغربي القديم، وقمراً لامعاً بين النجوم التي أحاطت به، لأنه عصر فكره، وأجهد نفسه ليتجاوز ما ألفاه قبله في كتابه(العمدة) الذي أحسن اختيار اسمه، ووفق في إنتقاء صفته، وكأنه يرى بالحاسة السادسة أن كتابه سيظل عمدة للدارسين، وأساساً للباحثين على مر الأزمان والدهور.

ثانياً: يحي بن عبد المعطي الزواوي (٦٢٨-٥٦٤هـ - ١٢٣١-١١٦٩م)

قال عنه الحفناوي (أبي القاسم محمد) في ترجمته: هوالشيخ الفقيه الصالح العابد على التحقيق المتوجه إلى الله بكل وجهة وطريق أبوزكررياء يحي بن أبي علي المشتهر بالزواوي وهو عند ما يكتب أسمه يكتب الحسني منسوب إلى بني حسن من أقطار بجاية.(الحفناوي،١٩٠٦، ص:٥٨٣).

وهو أبو الحسن يحى بن عبد المعطي الزواوي أصلاً الجزائري نشأة الحنفي المذهب، تلقى دروسه بالجزائر على يد أبي موسى الجزولي وغيره من علماء هذه المدينة، ثم انتقل إلى المشرق فسكن دمشق زمناً طويلاً وتولى بها النظر في مصالح الجامع ثم نقل إلى مصر فأقام بها إلى أن توفي ودفن بالقرافة بقرب تربة الإمام الشافعي.

وكان- رحمه الله- مبرزاً في علم الأدب قادراً على النظم للعلوم لغزارة علمه وقوة فهمه وفصاحة لسانه وجودة طبعه. ومن تصانيفه « الدرة الألفية في علم العربية « أو الأرجوزة الوجيزة المغربية الملقبة « بالدرة الألفية « أو ألفية ابن المعطي ومطلعها:

يقول راجي ربه الغفور

يحي بن معطي بن عبد النور

وقد نسج على منواله ابن مالك حين نظم ألفيته المسماة « بالخلاصة « وأثنى عليه في مقدمتها بقوله:

وهو بالسبق حائز تفضيلا

مستوجب ثنائي الجميلا

كما له تصانيف أخرى منها « تعليقات على أبواب الجزولية « وأمثلة لمسائلها وكتاب حسن يدعى « الفصول « وغير ذلك من المسائل المتفرقة في أبواب العربية.(محمد بن رمضان شاوش ، الغوثي بن حمدان،٢٠٠٥،ص:١٧٧).

وفي إحدى قصائده عن فضل العلم يقول يحي بن معطي الزواوي مايلي: (محمد بن رمضان شاوش ، الغوثي بن حمدان،،٢٠٠٥،ص:١٧٨).

إذا طلبت العلم فاعلم أنه

عبء لتنظر أي عبء تحمل

وإذا علمت بأنه متفاضل

فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل .

وتعد الدرة الألفية في علم العربية من أشهر مؤلفات ابن معط ؛ لأنها أول منظومة نحوية في ألف بيت، ويعد ابن معط الرائد في استعمال لفظ الألفية في أشعاره حيث قال:

(هذا تمام الدرة الألفية)؛ فابن معط صاحب الفضل في هذا الشأن؛ لأنه فتح الباب لمن أتى بعده كابن مالك(ت٦٧٢ه)، زالآثاري (ت ٨٢٨ه)، والسيوطي (ت ٩١١ه). ويكفي أن نذكر أن ابن مالك قدر عرف قدر ابن معط؛ حيث قال:

(...فائقةً ألفية ابن معط ... بسبق حائز تفضيلا ... مستوجب ثنائي الجميلا).(يحي بن عبد المعطي الزواوي،٢٠١٠،ص:١٣).

ثالثا: العلامة المصلح الشيخ عبد الحميد ابن باديس: (١٨٨٩- ١٩٤٠م)

ولد عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس في سنة (١٣٠٨ه- ديسمبر١٨٨٩م)؛ فكان الولد البكر لأبويه، وأسرته أسرة قسنطينية مشهورة بالعلم والثراء والجاه، وكانت منذ القدم ذات نفوذ، ومسيرة للسياسة والحكم في المغرب الاسلامي، ونبغ من هذه الأسرة شخصيات تاريخية لامعة منها بلكين بن زيري والمعز بن باديس الذي يفتخر به الشيخ عبد الحميد ولاعجب في ذلك فهو بمثابة خليفة له في مقاومة البدع والضلال، إذ كان جده يناضل الاسماعيلية الباطنية، وبدع الشيعة في افريقية، ومن أسلافه المتأخرين قاضي قسنطينة الشهير أبو العباس احميدة بن باديس ومكي بن باديس القاضي بها أيضاً...حفظ ابن باديس القرآن على الشيخ محمد المداسي، وأتم حفظه في السنة الثالثة من عمره..ثم جاء دور الرحلة في حياة الشاب فسافر إلى مدينة تونس في سنة ١٩٠٨م وسنه اذ ذاك تسعة عشر عاماً وانتسب إلى جامع الزيتونة، وعرف في دراسته بالجد والنشاط، فأخذ يتلقى الثقافة الإسلامية العربية، ويأخذ عن جماعة من أكابر علماء الزيتونة أمثال العلامة المفكر الصدر محمد النخيلي القيرواني، والشيخ محمد الطاهربن عاشور.. ولما نزل قسنطينة سنة ١٩٧٣م شرع في العمل التربوي وأخذ يعلم صغار الصبيان الذين يقرأون القرآن في الكتاتيب وخصوصاً كتاب سيدي فتح الله.. وفي ٥ماي ١٩٣٢م تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، وتوفي في مساء الثلاثاء ٨ ربيع الأول ١٣٥٩ه ١٦ أفريل ١٩٤٠م، فتحركت قسنطينة بأكملها لتشييع جنازته، وكان يوماً مشهوداً في ظروف قاسية وأزمة عالمية تمثلها حرب طاحنة ودفن في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة.(عمار الطالبي،ج/١، ٢٠٠٩،ص:٧٢-٩٥).

إن الاهتمام بالنضال من أجل الوطن والدين واللغة واضح في كل أعماله ودروسه وخطبه ومقالاته، ثم إن الربط بين هذه العناصر المتكاملة واعتبارها شيئاً واحداً ظاهر كذلك في أفكاره وأعماله وبرامجه، لأنه لا يتصور أن الإسلام مفصول عن اللغة العربية، وأن هذه الأخيرة مفصولة عن القرآن والإسلام، كما لا يتصور الجزائر باعتبارها وطناً إسلامياً عربياً مفصولة عن هذين العنصرين، وقد يبدو أن هذا الذي ذكرناه والذي تفرغ له ابن باديس وأعطاه كل حياته ليس هدفاً واحداً، وإنما هو هدف محوري، متفرغ إلى أهداف آخري. هذا صحيح ولكن الحقيقة التي ينبغي توضيحها وهي التي اعتمدناها في تحديد الهدف الاستراتيجي هي أن الدين واللغة والوطن عناصر لشيء واحد هوالشخصية الوطنية، التي لا يمكن أن ينظر إليها من جانب واحد فقط، كما لا يمكن إغفال عنصر من هذه العناصر عند الحديث عن الوطن، والشيء الذي كان يدور في ذهن الإمام حين أطلق شعاره المعروف: « الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا « ؛ هو أن السعي الذي بذل في هذا المجال يجب أن يستهدف تحرير الشخصية الوطنية مما علق بها، وتخليصها من مظاهر الزيف والتشويه. وتحديد سماتها البارزة، وإعادة الإعتبار لها حتى تزدهر وتنمو، وتعود لها هيبتها وقدرتها على العطاء، كما كانت في العهود الإسلامية الزاهرة. (عبد القادر فضيل، محمد صالح رمضان،٢٠٠٧،ص ص:٦٢-٦٣).

وعن نظرة العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس إلى اللغة العربية ووجوب الدفاع عنها والإفتخاربها لأنها لغة القرآن الكريم ومقوم أساس من الهوية العربية الإسلامية نورد من خلال إحدى مقالاته ما نصه: « إنها

وحدها الرابطة بيننا وبين ماضينا وهي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا، وبها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا وأحفادنا الغر الميامين، أرواحهم بأرواحنا، وهي وحدها اللسان الذي نعتز به وهي الترجمان عما في القلب من عقائد وما في العقل من أفكار، وما في النفس من آلام وآمال. إن هذا اللسان العربي العزيز الذي خدم الدين، وخدم العلم، وخدم الإنسانية، هو الذي نتحدث عن محاسنه منذ زمان، ونعمل لإحيائه منذ سنين، فليحقق الله أمانينا « . (عمار الطالبي،٢٠٠٩،ج٣،ص:٢٦٥).

كما أن الشيخ عبد الحميد ابن باديس هو صاحب القصيدة المشهورة نشيد:(شعب الجزائر مسلم) والتي مطلعها:

شعب الجزائر مسلم
وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله
أوقال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له
رام المحال من الطلب
يانشء أنت رجاؤنا
وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها
وخض الخطوب ولاتهب

(نشرتها الشهاب،ج١٩٣٧،٤م).

وإذا كنا نصرف أكثر جهدنا للتعليم العربي، فذلك لأن العربية هي لغة الدين الذي هو أساس حياتنا، ومنبع سعادتنا، ولأنها هي التي نحسن تعليمها، ولأنها – وهي من الوجاهة والهدالة بمكان- هي اللغة المهملة بين أبنائها المحرومة من ميزانية بلدها، المطاردة في عقر دارها، المغلقة مدارسها، المحارب القائمون على نشرها من أبنائها الله إلا قليلاً نادراً – على خوف – يحتج به عند مقتضى الحال، وإلا المدارس الرسمية الثلاث التي لاتقبل إلا عدداً محدوداً لتخريج من يملأ الوظائف الرسمية ويناسب روحها.(محمد الحسن فضلاء، ٢٠٠١،ص:٦٤).

قال ابن باديس نقلا عن (الشهاب): « جاء العرب وفتحوا الجزائر فتحاً إسلامياً لنشر الهداية لا لبسط السيادة، وإقامة ميزان العدل الحقيقي بين جميع الناس، لا فرق بين العرب الفاتحين، والأمازيغ من أبناء الوطن الأصليين. دخل الأمازيغ من أبناء الوطن في الإسلام، وتعلموا لغة الإسلام العربية طائعين، فوجدوا أبواب التقدم في الحياة كلها مفتحة في وجوههم، فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة، وثافنوهم في مجالس العلم، وشاطروهم سياسة الملك وقيادة الجيش، وقاسموهم كل مرافق الحياة، فأقام الجميع صرح الحضارة الإسلامية يعربون عنها وينشرون لواءها بلغة واحدة هي اللغة العربية الخالدة، فاتحدوا في العقيدة والنحلة، كما اتحدوا في الأدب واللغة، فأصبحو شعباً واحداً عربياً متحداً غاية الإتحاد، ممتزج غاية الإمتزاج...ولو رأيت الجامع الأخضر بقسنطينة لرأيت أبناء الجزائر من جميع جهاتها – وفيهم من يتقنون الأمازيغية- يتزاحمون على مناهل العربية العذبة، ويتسابقون إلى الفوز في ميادين بيانها الفسيحة ويتعاونون على بناء صرحها، ورفع منارها، ويستعذبون في سبيل المحافظة على تراثهم منها كل شر، ويستسهلون في تبليغه لغيرهم كل صعب، لا يبغون وراء ذلك لأنفسهم مأرباً، ولا ينتظرون لأجله منصباً، بل لا ينتظرون من ذوي النفوذ إلا الحرمان والعدوان» (محمد الصالح الصديق،٢٠١٤،ص:٢٠٦-٢٠٧).

وعن خطورة التلاعب بمستقبل اللغة العربية أثناء الإحتلال الفرنسي للجزائر يقول ابن باديس في مجلة الشهاب مايلي: « لا جرم كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغة... وما ذلت لغت شعب إلا ذل، وما انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد، أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوراً ونسياناً، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع «. (الشيخ عبد الرحمن شيبان، مقدمة مجلة الشهاب – أنشأها الإمام عبد الحميد بن باديس، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر،٢٠٠٩، (نقلا عن الشهاب/ج٣-مج١٢)ص:٣٣)

رابعاً: الشيخ محمد البشير

الإبراهيمي أمير البيان العربي: (١٨٨٩-١٩٦٥م).

اشتهر الشيخ محمد البشير الابراهيمي بالأدب والعلم وترأس مدة طويلة جمعية العلماءالمسلمين الجزائريين بعد وفاة مؤسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وذلك إلى نهاية حياته. وكان حقاً من الأدباء والعلماء الكبار.

ولد الشيخ البشير الإبراهيمي بتاريخ ١٩جويلية١٨٨٩م بقرية رأس الوادي التي توجد بولاية سطيف (الآن تابعة لولاية برج بوعريريج) شرق عاصمة الجزائر. وهو ينتمي إلى أسرة أولاد إبراهيم من قبيلة ريغة وتعلم على يد أبيه وعمه ثم إنتقل عام ١٩١١م إلى المدينة المنورة حيث تكون في اللغة العربية والعلوم الإسلامية وبقي هناك إلى غاية الحرب العالمية الأولى ثم انتقل إلى دمشق، وأقام بها إلى سنة ١٩٢١م، وبعد ذلك عاد إلى الجزائر وبدأ نشاطه الإصلاحي والتربوي بمدينة سطيف حيث تتلمذ عليه عدد من طلابها ثم اتصل بالشيخ عبد الحميد ابن باديس وأسس معه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١م، وواصل أعماله فيها إلى آخر حياته.(أبوعمران الشيخ، ناصرالدين سعيدوني، ١٩٩٥،:ص٢٢).

كان من بين الزعماء العرب وقادة الفكر فيهم الذين التقوا حول الأمير فيصل بن الحسين وبايعوه زعيماً للثورة العربية الكبرى إثر إعدام جمال باشا السفاح لأحرار العرب في دمشق وبيروت سنة ١٩١٦م، كما شارك في تأسيس المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢١م، ونفس السنة عاد الى الجزائر مع رائد النهضة ابن باديس وصحبه، ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١م كان من أبرز مؤسسيها وانتخب نائباً للرئيس عبد الحميد بن باديس (سنة ١٩٤٠م).. أنشأ عدداً كبيراً من المدارس العربية وأهمها معهد عبد الحميد ابن باديس الثانوي بقسنطينة، كما تولى مسؤولية جريدة « البصائر» الذائعة الصيت في المغرب والمشرق والتي كانت من أقوى الصحف العربية دفاعاً عن قضايا العروبة والإسلام.(عادل نويهض،١٩٨٠،ص:١٣)

كرس الشيخ البشير الإبراهيمي حياته لتحقيق ثلاثة أهداف أساسية هي:- نشر الإصلاح الصحيح وتعلم اللغة العربية وإبراز الشخصية الوطنية الجزائرية-؛ إن اللغة العربية تستحق كل العناية في رأيه لأنها لغة القرآن من ناحية ولغة وطن من ناحية أخرى، وقد حاول الإستعمار الفرنسي القضاء عليه بكل الوسائل غير أنه لم ينجح بفضل مقاومة الشعب الجزائري وتمسكه بلغته الدينية والقومية مهما كانت العراقيل والصعوبات التي واجهتها في عهد الاحتلال وكان يرى أن التعليم هو وسيلة من وسائل التحرر ولذا بذل كل ما في وسعه لبناء المدارس الحرة في القطر وتكزين المعلمين للمرحلتين الإبتدائية والثانوية، فقد أنشأ معهد ابن باديس بقسنطينة ومنه توجهت بعثات الطلبة الجزائريين الى جامع الزيتونة بتونس والجامعات العربية بالمشرق، وقد رأى الشيخ البشير أنه لا يستبعد في يوم من الأيام أن تكون اللغة العربية دولية مثل اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية.(أبوعمران الشيخ، ناصرالدين سعيدوني، ١٩٩٥،ص:٢٣).

لقد تعلم البشير وعلو في مهده الاول، ثم رحل إلى القاهرة فأقام بها ثلاثة أشهر فقط، إذا أعجله الشوق لأبيه، فآثر أن يؤم المدينة المنورة كي يلقاه هناك، وكنت أظن أ، ثلاثة أشهر بالقاهرة لا تغني الطالب المتعلم في شيء، ولكني وجدت البشير في ترجمته يذكر: أنه حضر الدروس بالأزهر ولاقى كبار علمائه، إذ استمع إلى الشيخ: سليم البشري وحضر دروس الشيخ: بخيت المطيعي في الحديث بالرواق العباسي، ودرس الشيخ: يوسف الدجوري في البلاغة بصحن الجامع الأزهر، ودروس الشيخ: السمالوطي بالمسجد الحسيني، وحلقة الشيخ: سعيد الموجي بجامع الفكهاني، ثم انتقل إلى دار الدعوة والإرشاد التي أسسها الشيخ: محمد رشيد رضا بمنيل الروضة فأصاب من كل ذلك ما صادف موقعه في نفسه. وقد دفعه ظمؤه الأدبي إلى لقاء شوقي وحافظ، فرحبا به وأسمعهما بعض ما يحفظ من قصائدهما الجياد، فتهلل شوقي واهتز، وفرح حافظ واختال.(محمد رجب البيومي،١٩٩٥،ص:٢٥٩).

ويركز الإمام في كتاباته ومحاضراته كثيراً على (الإسلام والعروبة والجزائر)، كما يركز كثيراً عن العروبة واللغة العربية، وذلك لعدة أسباب منها: ان العرب من أعرق

الأمم في التاريخ، وأنهم من أكثرها محافظة على الفطرة الإنسانية، يشيع ذلك في أمثالهم، وأخلاقهم، وآدابهم، ولأن الله أكرمهم باختيار آخر أنبيائه وخاتم رسله منهم، ولأن فرنسا عملت طيلة وجودها بالجزائر على تحقير العروبة وتقليل شأنها في أعين الجزائريين لسلخهم منها وإبعداهم عنها، يقول الإمام الإبراهيمي: « إن العروبة جذم بشري من أرسخها عرقاً، وأطيبها عذقاً، عرفت التاريخ بادياً وحاضراً، وعرف فيه الحكمة والنبوة، وعرفته الفطرة الأولى عهودها فتبنته صغيراً وحالفته كبيراً... وإن العربية هي لسان العروبة، الناطق بأمجادها، الناشر لمفاخرها وحكمها، فكل مدع للعروبة فشاهده لسانه، وكل معتز بالعروبة ذليل إلا أن تمده هذه المضغة اللينة بالنصر والتأييد...إن الشعب الجزائري فرع باسق من تلك الدوحة الفينانة، وزهرة عبقة من تلك الروضة الغناء، عدت عليه عوادي الدهر، فنسي مجد العروبة، ولكنه لم ينس أبوتها، وابتلاه الاستعمار- عن قصد – بالبلبلة فانحرفت فيه الحروف عن مخارجها إلا الضاد». (أحمد طالب الإبراهيمي، ٢٠٠٩،ص:٢١).

يقول الشيخ الابراهيمي عندما انعقد المؤتمر السنوي الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي بالجزائر في يوم الاحد السادس عشر من جمادى الثانية عام ١٣٥٤ والثلاثة ايام الموالية مانصه: « فاجتمعت فيه الجزائر العربية المصلحة المجاهدة في سبيل العلم الصحيح والدين الحق واللسان المبين، وكان ذلك الاجتماع الذي ثوب داعيه فإسمع، وسمع واعيه فأهطع، تعبيراً فصيحاً على تقدير المؤتمرين لدينهم ولغتهم ودليلاً ملموساً على ما وصلت إليه حركة الإصلاح الديني من قوة وتغلغل في القطر الجزائري، فقد ضم هذا المؤتمر بين حنياه أبناء المدن والقرى والخيام، وجمع أبناء السواحل بأبناء الجبال وأبناء الصحارى، وسكان الشرق بسكان الغرب، وتجلت كرامة جمعية العلماء في اجتماع قطر في ناد، وبحر في واد، ووطن في عطن «.(جمعية العلماء المسلمين، ٢٠٠٩،ص:١٠).

خامسا: عبد المالك مرتاض: (الخبير في للآداب والنقد والسيمائيات).

ولد في بلدة (مسيردة) بولاية (تلمسان) في الغرب الجزائري، تخرج في كلية الآداب جامعة الرباط (١٩٦٣)، ونال درجة الدكتوراه الطور الثالث في الآداب من كلية الآداب، جامعة الجزائر (١٩٧٠)، بينما حصل على دكتوراه الدولة في الآداب (باللغة الفرنسية) من جامعة السوربون الثالثة بباريس (١٩٨٣)، عمل أستاذ للآداب والنقد والسيمائيات بجامعة وهران منذ ١٩٧٠م.عين أو انتخب عضواً من الجمعيات والهيئات الجزائرية والعربية، تقلد عدة مناصب جامعية وثقافية عليا في الجزائر، يرأس تحرير مجلة « تجليات الحداثة» بجامعة وهران، صدر له أكثر من ثلاثين كتاب في مختلف مجالات المعرفة (نقد، تاريخ، آداب ...)منها:(المقامات في الأدب العربي- النص الأدبي من أين وإلى أين- تحليلي الخطاب السردي-بنية الخطاب الشعري...)؛ نشر في ممظم العواصم العربية، خصوصاً في الكويت، تونس،القاهرة، بغداد،دمشق،بيروت،صنعاء، المنامة، الرياض، وجدة.(عبد المالك مرتاض، ديسمبر ١٩٩٨م، ص:٢٨٩).

ويمكن ان نستكشف الملكة الفكرية والتحليلية للخطاب الشعري وقودة الالفاظ المستخدمة للناقد العربي عبد الملك مرتاض من خلال تحليله لبعض نماذج الشعر الجزائري ولعل نبرزفي هذا المقام تحليله لقصديدة العالم المصلح الشيخ عبد الحميد ابن باديس التي جاء في مطلعها مايلي: شعب الجزائرمسلم وإلى العروبة ينتسب

« يقوم هذا البيت العجيب على ثنائية متلازمة، وقد وردت كلها في سياق التشاكل. فنجد ثنائية الشعب الجزائري المسلم، والإنتماء إلى العروبة. وهاتان قيمتان متشاكلتان متلازمتان. ذلك بأن الدلالات الكامنة في الشعب الجزائري المسلم لا تتعارض ولا تتباين مع انتسابه إلى العروبة؛ من أجل ذلك يمكن أن تقرأ هذه الثنائية في إطار التشاكل المتلازم. ونلاحظ أن العنصر الأول من الثنائية ينهض على ثلاثة قيم تندمج فتشكل كتلة واحدة من القيم: الشعب الذي يمثل قيمة بشرية، والجزائر التي تمثل قيمة تاريخية وحضارية وجغرافية، والمسلم الذي يمثل قيمة عقدية وروحية. غير أن تينك القيمتين لا تمتنعان من الوقوع تحت

دائرة الانشطار، فتنشطر إلى أربع قيم هي:

- الشعب من حيث هو مجموعة بشرية؛
- الجزائر من حيث هي وطن وجغرافيا؛
- الإسلام من حيث هو دين وعقيدة؛
- العروبة من حيث هي انتماء قومي وحضاري.

فهذا البيت من أبلغ الأبيات في الشعر العربي على وجه الإطلاق، كما رأينا من خلال مشمولاته الدلالية؛ ..وفي البيت توصيف للشعب يقضي بُبعاد كل صفة أخرى ما عدا ما ذكر، وفيه تقديم يتسارع بالذهن إلى تجسيد انتماء الشعب الجزائري؛ وذلك بتسبيق موضوع الانتماء (العروبة) على الانتماء نفسه. (عبد المالك مرتاض، ٢٠٠٦، ص:٧٠-٧١).

سادساً: عبد الرحمن حاج صالح: (صاحب مشروع الذخيرة العربية).

ولد بمدينة (وهران) غرب عاصمة الجزائر ، درس في مصر وفي بوردو وباريس، تحصل على التبريز ودكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة باريس – السوربون – كان أستاذ بجامعة الرباط سنة ١٩٦١م إلى سنة١٩٦٢م، وبجامعة الجزائر بعد ذلك، وصار مدير معهد العلوم اللسانية بالجزائر، ثم مدير مركز البحوث العلمية لترقية اللغة العربية، وعينه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية سنة ٢٠٠٠م. وهو عضو في المجامع الآتية: دمشق وبغداد وعمان والقاهرة، ويشرف على مشروع الذخيرة الدولي.. قدم العديد من الدراسات تخص اللسانيات العربية وله مشاركات عديدة في المؤتمرات الدولية خاصة المؤتمرات الدورية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وغيرها، وقد نشرت أعماله من سنة ١٩٦٥مإلى سنة٢٠٠٥م في دوريات علمية متخصصة.(عبد الرحمن حاج صالح،٢٠١٢،آخر صفحة الغلاف).

من أهم أبحاثه نجد مايلي: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية- سلسلة اللسان عند العرب (١-٢-٣)- الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية- منطق العرب في علوم اللسان- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة... وغيرها من الأعمال.

ومن أهم مشاريعه (مشروع الذخيرة العربية)؛ الذي يقول فيه اللساني عبد الرحمان حاج صالح مايلي:» كان لي الشرف ان عرضت هذا المشروع على مؤتمر التعريب الذي انعقد بعمان في ١٩٨٦م وفكرة الذخيرة اللغوية العربية وفوائدها الكبيرة بالنسبة للبحوث اللغوية والعلمية عامة وبالنسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها خاصة. وحاولت أن أقنع زملائي الباحثين على أهمية الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية وإشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية لإنجاز المشروع لامتيازه بأبعاد تتجاوز المؤسسة الواحدة بل البلد الواحد.ثم عرضت الجزائر على المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للثقافة والعلوم هذا المشروع في ديسمبر ١٩٨٨م فوافق أعضاؤه على تبنيه في حدود إمكانيات المنظمة.. وعلى إثر ذلك نظمت جامعة الجزائربالإتفاق مع المنظمة ندوة لدراسة المشروع واتخاذ القرارات اللازمة مع خبراء المؤسسات العلمية العربية. وساهم في هذه الندوة عدد من الخبراء والمسؤولين، وخرجوا بتوصيات تخص تنظيم العمل والمشاركة وإنشاء اللجان لمتابعة المشروع.(عبد الرحمن حاج صالح،٢٠١٢،ص:٣٩٥).

- تعقيب وتعليق من خلال آراء بعض الأدباء والعلماء :

يشير الدكتور (عبد المالك مرتاض) عن معنات الشعب الجزائري خلال تلك الحقبة ودور العلماء والأدباء في نشر الوعي الفكري مايلي: فمثقفوا المراحل الثلاث الأولى من القرن العشرين لهم علينا فضل النضال والمعناة من أجل الوطن، فهم لم يكونوا شعراء أو كتاباً فحسب؛ ولكنهم كانوا أدباء مضافاً إلى ذلك النضج عن المبادىء الوطنية والدينية العظيمة التي كانوا يتخذونها مبادىء عليا يتمسكون بها، ولو أفضى بهم ذلك إلى الهلاك !.

ولذلك نجد هذه الفترة التاريخية الواقعة ما بين الحربين الإثنتين، في الجزائر،تمتاز بالبكاء والعويل، والشكوى من ويلات الدهر، والضجر من غفلة الشعب، بل من غطيطه في سبات عميق، والنعي على الإستعمار الفرنسي وما اضطهد به الجزائريين فلم يأل جهدا في أن يمسخهم مسخاً؛

فكان الشعراء الجزائريون، وهم ضمير الأمة الحي، ووعيها المدرك، ينظرون إلى شعوب آخرى وقد انتفضت وثارت، وتاقت إلى نيل الحرية فماجت، فإذا هي تنبذ الاحتلال الأجنبي وتوجهه بكل التضحيات...وعلى ماكان الشعب الجزائري قدم، بعد، من تضحيات جسام طوال سبعين عاماً تقريباً دون انقطاع (١٨٣٠-١٩١٩م)، فإن الشعراء الجزائريين، انطلاقاً من الحرب العالمية الأولى لم يعودوا ينظرون إلى الماضي وما قدم فيه الجزائريون من تضحيات؛ ولكنهم أنشأوا يتحفزون نحو المستقبل، فبدءوا يجدفون على الاستعمار الفرنسي، ويعارضون بقاءه جهاراً، ويدعون إلى الانقضاض عليه بأي وسيلة من الوسائل الممكنة بإعتباره محتلاً أجنبياً، ومن ذلك، البيتان الشهيران اللذان قالهما محمد العيد آل خليفة بمناسبة مرور الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر:

أطلت بجانبي يا ضيف فارحل
لحاك الله من ضيف ثقيل !
مضى لك مذ، نزلت علي، قرن
متى، يضيف، تؤذن بالرحيل؟

فهذا الضيف الثقيل مضى عليه في بيت المضيف قرناً كاملاً فظل ضيفاً بليداً ثقيلاً؟ أم ألم يجزئه أن يبقى قرناً كاملاً في دار هو يعلم أنها ليست داره، ولا أهله؟. (عبد المالك مرتاض،٢٠٠٦،ص ص:٢٩-٣٠).

يقول الأستاذ (محمد الصالح رمضان) عن الدور الخطير الذي قامت به فرنسا إتجاه الوحدة الوطنية وطمس معالم الشخصية العربية الإسلامية وعن رد فعل جمعية العلماء المسلمين ما نصه: فرغم ما بذلت فرنسا في محاربة الوحدة القومية وتذويب الشخصية الجزائرية ومقاومة القيم الاسلامية فإن نهضة الجزائر الحقيقية قد ارتبطت بنشأة (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)؛ فهي التي أيقظت الشعب الجزائري من سباته وعرفته بنفسه وبتاريخه وقيمه وأزالت الغشاوة عن أبصاره وغرست فيه الثقة بنفسه ودفعته إلى التقدم في الطريق السوي السليم وهذا سر كراهية الإستعمار وأعوانه لها وحرصهم على بذل كل جهد لكبت أصوات علمائها وعرقلة أعمالهم ومشاريعهم ولم يكن غيرها حينئذ يتحرك في الميدان لصالح الشعب ويقظته لا الأحزاب السياسية ولا المنظمات الجماهرية على مستوى الوطن.(محمد الصالح رمضان،٢٠٠٥،ص:١٢٦)

لقد أعطى هؤلاء الرجال فيما بين ١٩٣٠-١٩٢٥ قفزة حاسمة للنضة الجزائرية التي اتخذت خاصة مظهراً دينياً وثقافياً.تأسيس مساجد ومدارس حرة، والحث على حياة اجتماعية وثقافية في إطار الوفاء العربي الإسلامي(محفوظ قداش، ٢٠٠٨.ص:٢٩٠).

في بداية الاربعينيات من القرن العشرين كانت جمعية العلماء المسلمين تشرف وتسير سبعين (٧٠) مدرسة، يؤمها ما لا يقل عن ثلاثين ألفف من المتمدرسين (٣٠,٠٠٠) الذين انظم الكثير منهم إلى صفوف جيش وجبهة التحرير، وعاد بعضهم من خارج الحدود، ليستشهد في ميدان الشرف، إن إنكار هذه المساهمات ليس أكثر من تحزبية احتكارية وضيقة الأفق.(محمد العربي ولد خليفة، ٢٠٠٥،ص:٤٧).

وعن محاربة اللغة العربية وتشجيع العامية والفرنسية، فهدف الدروس بالفرنسية حدده دي روفيجو بقوله: « إن الجزائر لن تكون حقيقة من الممتلكات الفرنسية لا بعدما تصبح لغتنا لغة قومية فيها، والمعجزة التي ينبغي تحقيقها هي إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية تدريجياً، ومتى كانت اللغة الفرنسية لغة السلطة والإدارة، فإنها سوف لا تلبث أن تنتشر بين الأهالي، ولاسيما إذا وجدت مدارسنا لإقبالاً من الجيل الجديد، وأنا لا يساورنب شك في أنه بعد مضي وقت قصير سوف يجتمع في فصل واحد، وحول أستاذ واحد أبناء الفرنسيين والإسبان والعرب واليهود». (محمد بن شوش، ٢٠٠٨، ص:٩٤).

وقد كان رد رائد النهضة والإصلاح ورئيس جمعية العلماء المسلمين كالآتي: « لقد تعربت الأمة الجزائرية تعرباً طبيعياً اختيارياً صادقاً فهي في تعربها نظيرة إسماعيل (عليه السلام) جد العرب الحجازيين، فقد كان العرب لما شب في مهدهم، ونطق بلسانهم وتزوج منهم، وليس تكون الأمة بمتوقف على إتحاد دمها، ولكنه متوقف على اتحاد قلوبه وأرواحه وعقوله اتحاداً يظهر في وحدة اللسان واشتراك الآلام والآمال.(محمد الحسن فضلاء، ٢٠٠١،ص:٢٠٢).

وقد برز في هذه الفترة علماء

في كثير من العلوم النقلية والعلقلية، زخرت بمؤلفاتهم المكتبات العامة في الجزائر، غير أن يد الاستعمار الغاشم عبث بها سلباً وحرقاً، في همجية لم يشهد لها التاريخ المعاصر مثيلاً. يقول أحد الغربيين واصفاً ذلك: « إن الفرنسيين عندما فتحوا مدينة قسنطينة في شمال إفريقيا، أحرقوا كل الكتب والمخطوطات التي وقعت في أيديهم، كأنهم من صميم الهمج «.

فلم تقتصر اعتداءات الاحتلال الفرنسي للجزائر على الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية فحسب، بل عمد إلى تدمير معالم الثقافة والفكر فيها، وقد ظهر حقده الصليبي في إصراره على تحطيم مقومات الأمة، وفي مقدمتها الدين الإسلامي واللغة العربية.(أبومحمد عبد الرحمن، ٢٠١١،ص:٥٢).

يقول المفكر والمؤرخ عثمان سعدي عن بشاعة الاستعمار الفرنسي في محاربة التعليم واللغة العربية مانصه: ومن العناصر التي حاربها الفرنسيون التعليم العربي، فقد وجدوا تعليماً منتشراً عبر مدارس في المدن والأرياف بحيث كانت نسبة الأمية متدنية جداً. وكان هذا التعليم يمول من الأوقاف. ويشهد الفرنسيون بأنه كان يملك ميزانية قارة، ومدارس كثيرة ، ومعلمين كافين، وبرامج تعليمية، ونظاماً للشهادات. وبالرغم من أنه لم يكن متقدماً، لكن الجزائريين يرون أنه يغطي حاجة مجتمعهم مع استعدادهم لتطويره، وكان بعض المفكرين الفرنسيين يؤيدون ذلك، فالبارون بيشون يرى « إن أنجع الوسائل هي إدماج الجزائريين في مصالحهم الخاصة، وتطوير عندهم اللغة العربية». (عثمان سعدي،٢٠١١،ص:٦٣١).

يقول الأستاذ أبوالقاسم سعد الله عن تلك الحقبة؛ ذلك فالحركة الفكرية في الجزائر كانت تستمد حيويتها من بعض العوامل. ومن ذلك دور المهاجرين الذين استكملوا ثقافتهم في البلاد العربية وظلوا على حنينهم لوطنهم مثل محمد بم الأمير عبد القادر، صاحب (تحفة الزائر) والذي استقر في دمشق، ومحمد العربي المشرفي، صاحب التآليف العديدة في التاريخ والأدب والذي استقر بالمغرب، والشيخ طاهر الجزائري ببلاد الشام الذي أثر على الحياة الفكرية العربية عموماً.(أبو القاسم سعد الله، ٢٠٠٧. ص:٨٨).

وتميزت فترة بداية الثلاثينيات ببروز عدد من المفكرين والمصلحين الذين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن الشخصية الوطنية الجزائرية والذود عن ابرز ومقوماتها الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية، ونجد في الصف الأول من هؤلاء كل من الشيخ عبد الحميد ابن باديس والعلامة البشير الأبراهيمي -رحمهم الله- .

فالآثار الباديسية، كانت دوماً تؤكد على الانتماء القومي والإسلامي للجزائر، وكانت تسارع إلى العناية بكل قضايا العروبة والإسلام ، ناهيك شعار جمعية العلماء قد تمثل في هذه الثلاثية المقدسة « الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا « ؛ كما أن شعر جريدة البصائر لسان حال الجمعية كان هو ((العروبة والإسلام)). (عبد الرزاق قسوم، ٢٠١٣ .ص:٣٦).

ويقول الاستاذ (عبد الرزاق قسوم) عن فكر ولغة الإبراهيمي: إن الفكر الإبراهيمي تحكمه صعوبة تصنعها غرابة اللفظ، وبراعة الصياغة، وأناقة الأسلوب ومرجعية المعنى، وهي كلها معطيات غير متاحة الفهم إلا لمن أوتى مجموعة من الأدوات المعرفية الخاصة، وتتمثل في الإلمام الشامل بآي القرآن، والإحاطة الوافية بقواعد فقه اللغة، والتعمق الدقيق في المحيط التراثي العربي عموماً، والجزائري منه بصفة أخص، هذا إلى جانب الثقافة الموسوعية التي تجمع التاريخ الإنساني في شقيه العربي الإسلامي، والأجنبي، ويشفع لنا فيما نذهب إليه هذا الإستلهام العجيب، الذي يستوحيه من آي القرآن فيسيل على لسانه فصاحة، وعلى قلمه بلاغة فيسمو بأدبه، سمو آي القرآن، ويعلو بمعاني إنتاجه علو الإعجاز القرآني في مخاطبة سامعيه. (عبد الرزاق قسوم، ٢٠١٣ .ص:٤٢).

يشيد الأستاذ عمر بن قينة عن أنجازات المفكرين والأدباء والباحثين الجزائريين فيما يتعلق قضية نشر اللغة العربية في المجتمع الجزائري العربي المسلم وهذا بعد الإستقلال إذ يقول: « أعترف من البداية معتزاً بالإنجازات التي حققتها حركة التعريب في مختلف مراحل التعليم، بفضل الجزائريين الشرفاء في كل المواقع، بعد احتلال صليبي من (١٨٣٠) إلى (١٩٦٢)؛

فاستبسلت العربية بروحها الإسلامية في غمار معركتها مع الفرنسية بمضمونها النصراني التي كانت تحكم قبضتها على مختلف المواقع.(عمر بن قينة، ٢٠٠٢، ص:١١٣).

يقول الخبير اللساني الجزائري عبد الرحمن حاج صالح مانصه:» إن التعريب في الجزائر هو عمل دائب لا ينقطع على الرغم من الصعوبات والعراقيل، وولئن حصلت أخطاء فهو أمر طبيعي وقد لا يكون طبيعياً أن لا يحصل أي خطأ، إلا أن الإرادة القوية المخلصة إذا اقترنت بالكفاءة العلمية والتمرس والخبرة فإن الأخطاء ستقل بالضرورة. والمبدأ الأساسي أجمع المعنيون بالأمر في بلادنا على صحته وضرورة السير عليه هو أن يكون التعريب لا للقوقعة والانغلاق، بل سبباً لرفع مستوى التعليم مع استرجاع أهم شيء تكتسبه الأمة في شخصيتها وهي لغتها «. (عبد الرحمن حاج صالح،٢٠١٢،ص:٣٩٤).

خلاصة :

ختاما نستطيع أن نخرج بعدد من التوصيات عسى منا أن تكون نافذة للغوص في دراسات أخرى تستخرج ماهو مكنوز في تراثني الحضاري وتقديمه إلى الأجيال الالحالية من أجل ربط ماضيهم بحاضرهم وحاضرهم بمستقبلهم، وهذا للحفاظ على الموروث الحضاري والرصيد المعرفي الهام الذي تتمتع به أمتنا والذي يعتبر مصدر فخر وإعتزاز خاصة وأننا نعيش في عصر العلولمة والتيارات الجارفة التي تريد بلورة وضع يون خارج عن حضارتنا العربية الإسلامية التي جاءت لخدمة الإنسانية جمعاء وهذا بإعتبار ديننا الحنيف هو رحمة للعالمين كما بينه المولى عزوجل في القرآن الكريم مع مراعاة النقاط التالية:

أولاً: ضرورة تعريف الأجيال الحالية بآثار وإنجازات الأجداد خلال مختلف مراحل تاريخ الجزائر العام، ولإرتباطه بالتاريخ العربي الإسلامي.

ثانياً: العمل على نشر التراث الجزائري وإستخراج هذ الكنز الثمين من رفوف المكتبات العامة والمتاحف والزوايا والكتاتيب.

ثالثاً: عقد ندوات وأيام دراسية للتعريف بأنجزات هؤلاء الأعلام الأجلاء وتبسيط المعارف للناشئة على شكل قصص مفيدة وتكون سهلة وذات هدف منشود في مجال الحفاظ على اللغة العربية لتوسيع دائرة المطالعة لدى الأطفال والناشئة.

رابعاً: عقد ملتقيات ومؤتمرات وطنية وعربية ودولية تتناول قضايا اللغة العربية وكيفية تطويرها والإرتقاء بها من خلال الإتمام بالتجديد اللغوي وهذا وفق متغيرات العصر ومتبعة للتطور التكنلوجي الحاصل في العالم.

خامساً: ضرورة تشجيع الأبحاث الأكاديمية المنشورة باللغة العربية داخل المؤسسسات التعليمية ومراكز الأبحاث.

سادساً: تشجيع الباحثين الشباب والناشئة الذين يسهمون في نشر الثقافة العربية في المجتمعات العربية.

سابعاً: وضع جوائز تحفيزية لإختيار أحسن الباحثين و أجود البحوث المتعلقة بتحقيق الترث الجزائري والعربي النفيس وهذا على المستوى المحلي والعربي.

ثامناً: ضرورة الإستفادة بالتكنولوجيا الحديثة (التعليم الإلكتروني) من الحواسيب ووصائل الإتصال الحديثة ووضع برامج تتماشي مع ظاهرة إتساع التعليم الإلكتروني والنشر الإلكتروني في مختلف الهيئات والمؤسسات خاصة في مراحل التعليم المختلفة.

المراجع والمصادر:

١. أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر(المقوامة والتحرير١٨٣٠-١٩٦٢)، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م.
٢. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، اعتنى بها مصطفى شيخ مصطفى،الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ٢٠٠٧م.
٣. عبد الرزاق قسوم، أعلام ومواقف في ذاكرة الأمة – انطباعات جزائرية- ، طبع المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار، الجزائر، ٢٠١٣م.
٤. عبد الكريم الأشتر، العربية في مواجهة المخاطر، الطبعة الأولى،

المكتب الإسلامي، بيروت.دمشق. عمان، ٢٠٠٦م.
٥. عمر بن قينة، قضايا.. ومواقف ! (فكرية، تاريخية، ثقافية، إجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٢م.
٦. عمر عبيد حسنه، العربية لسان النبوة الخاتمة، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت. عمان،٢٠٠٨م.
٧. محمد الصالح الصديق، الإمام عبد الحميد ابن باديس- جهاد ومواقف- بأقلام أدباء وعلماء، دار هومة للطباعة والنشر والبتوزيع، الجزائر، ٢٠١٤م.
٨. محمد فارح، اللغة العربية في مواجهة التحدي، الدراسات الإسلامية، مجلة ثقافية محكمة نصف سنوية يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، العدد الخامس/ جمادى الأولى، الجزائر، جوان ٢٠٠٤م.
٩. أبوعمران الشيخ، ناصرالدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،١٩٩٥م.
١٠. أبومحمد عبد الرحمن، الراسخون في ذاكرة الأيام – من العصور الإسلامية في الغرب والمشرق العربي، دار المواهب للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١م.
١١. أبي القاسم محمد الحفناوي الديسي، كتاب تعريف الخلف برجال السلف،طبع بمطبعة بييرفونتانة الشرقية بالجزائر، الجزائر،١٩٠٦م.
١٢. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الأول(١٩٢٩-١٩٤٠)، دار البصائرللنشر والتوزيع، حسين داي الجزائر، ٢٠٠٩م.
١٣. جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة للنشر والطبع، الجزائر،٢٠٠٩م.
١٤. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان،١٩٨٠م.
١٥. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، ط٨، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٨م.
١٦. عبد الرحمن شيبان، مقدمة مجلة الشهاب – أنشأها الإمام عبد الحميد بن باديس، دار المعرفة، باب الواد، (نقلا عن الشهاب/ ج٣-مج١٢)، الجزائر،٢٠٠٩م.
١٧. عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، موفم للنشر، الجزائر،٢٠١٢م.
١٨. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة العدد (٢٤٠)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،ديسمبر ١٩٩٨م.
١٩. عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،٢٠٠٦م.
٢٠. عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ (من خلال العصور القديمة وحتى سنة ١٩٥٤م)، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١م.
٢١. عمار الطالبي، ابن باديس حايته وآثاره،ج٣، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩م.
٢٢. محفوظ قداش، جزائر الجزائرين – تاريخ الجزائر١٨٣٠-١٩٥٤- ،ترجمة محمد المعراجي،طبع المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار، الجزائر، ٢٠٠٨م.
٢٣. محمد الحسن فضلاء، الشذرات (مواقف الامام عبد الحميد بن باديس)، طبع دار هومة، ٢٠٠١م.
٢٤. محمد الصالح رمضان، منهاج الدعوة عند ابن باديس، الدراسات الإسلامية، مجلة ثقافية محكمة نصف سنوية يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، العدد السابع/ جمادى الأول، الجزائر، جوان ٢٠٠٥م
٢٥. محمد العربي ولد خليفة، الاحتلال الاستيطاني للجزائر مقاربة للتاريخ الاجتماعي والثقافي، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر،٢٠٠٥م.
٢٦. محمد بن رمضان شاوش ، الغوثي

بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، الجزء ١و٢،الطبعة الثانية،طبع وإشهار دود بريكسي، تلمسان، الجزائر،٢٠٠٥م.

٢٧. محمد بن شوش، الغزو الفكري للجزائر (١٨٣٠-١٨٧٠)، المصادر، مجلة سداسية محكمة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر١٩٥٤م، العدد١٨ السداسي الثاني، ،دار غرناطة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٨م.

٢٨. محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، الجزء الأول، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت،١٩٩٥م.

٢٩. محمد مرتاض، النقد الأدبي في المغرب العربي (بين القديم والحديث)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،٢٠١٤م.

٣٠. يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي ، الدرة الألفية: ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة،ضبطها وقدم لها سليمان إبراهيم البلكيمي، الطبعة الأولى، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠١٠م.